VIII
الــتربيـــــة

إن موضوع التربية شاسع شساعة عالمنا . فكل حياتنا الشخصية مرتبطة بها ؛ و لكن كذلك الأفراح و الآلام الجماعية . أليست الحروب نفسها تعميما للاحساسات الشخصية ؟ يمكن أن تؤدي التربية إلى اكتشاف الفرح و الأمن و الوقار الذكي . و لكن كذلك إلى تقلص الإمكانيات ، الأمراض و الفشل . كنا و قد سبق أن تحدثنا طيلة هذا التأليف عن التربية ، و ها نحن الآن في محاولة لإعطائها معنى أوسع .

نقوم في أغلب الأحيان باتهام مباشر للمربي ؛ و هذا تضييق شحيح لأسباب هذا المشكل العويص . فالمربي نفسه هو نتاج تربيته ، و التي كانت نتيجة لتربية سبقته و هكذا دواليك . فالتربية هي سلسلة لا نهاية لها . تؤدي أحيانا إلى نتائج جد وخيمة. يجب النظر إلى المشكلة بعقلانية كبيرة، و بشكل أوسع على قدر ما نستطيعه؛ و ليس من خلال ثقب"مفتاح الباب " و المتمثل في "أنا" أو " أنت" . يجب الانطلاق من نظرة إنسانية شاملة ثم نهبط بعد ذلك إلى ذاتنا . فالانطلاق من الذات ثم محاولة التعميم هي سخافة لا حدود لها .

تربية الآخرين تبدأ من تربية الذات .

ليس هناك استثناء لهذه القاعدة . إنه قانون صارم ، و صلب كالماس ، غير قابل للطعن. فماذا نقول عن طبيب يعالج الأجساد و هو لا يعرفها ؟ أو راهب يرشد الناس و قلبه مشحون بالحقد و الضغينة ؟ إنهم ليسوا في أماكنهم أليس كذلك ؟ و لابتغاء أدنى مكانة في النور يجب القيام بعدة

فحوص؛ و لكن واقعنا اليوم أصبح يسمح للفرد أن يكون بين ليلة و ضحاها مربيا . بينما دور التربية هو التمكن من توصيل الفرد إلى معرفة ذاته ، إلى معرفة الحقيقة ، و إلى التوازن . يجب على كل مربي أن يقود الفرد نحو تمديد إمكانياته العقلية .

و لكن ليبلغ هدفه ، يجب عليه أن يتوفر على تلك الحكمة و ذلك التوازن العقلي ! كيف يمكن له أن يُعرّف الآخرين بالشمس مادام هو نفسه لا يعرف وجودها ؟ و إذا لم تتوفر فيه تلك الحكمة و ذلك التوازن ، يجب عليه معرفة هذا تماما، و لا يدعي ما ليس له به علم . إن هذا يعتبر بداية لتربيته الذاتية ، و كذلك لذكائه الذاتي .

فكثير من المربين يتساءلون بقلق في ما يخص سلوك ذلك الطفل أو ذاك المراهق و يقولون :(أنه ليس معتدلا في سلوكه، أو أنه يكذب ، يسرق ، أنه خجول ، عدواني ، منافق ...الخ)

و لكن نادرا ما رأيت مربيا يتساءل عن نفسه بالذات ، و قبل أي شيء ، ثمان مرات على عشرة ، يكون الطفل الشاذ أخلاقيا قد تم إفساده ، و إذا وجدنا طفلا يكذب أو يسرق ، لا يكفي أن نقوم بالتوضيح له للتصور المثالي للحقيقة و النزاهة . و لكن يجب البحث عن سبب الكذب و السرقة . فهناك سببا لكل شيء ، أليس كذلك ؟

لا يمكن أن نوصل إلا التربية التي نملكها . و هذا شيء آلي بحت . فمن الضروري إذن البحث في أنفسنا عن مغزى لحياتنا ؛ و هذا يؤدي إلى معرفة الذات ، و التخلص من العدد الهائل من الانعكاسات الضارة . نرى عادة الأشياء من خلال الذاتية ، و هذا شيء طبيعي . يجب إذن على هذه الذاتية أن تكون شبيهة بواجهة شفافة و ليست واجهة معتمة ، تقوم بتوقيف أشعة النور. و إلا نفرض على الطفل أن لا يكون كما هو ، و لكن كما نحن نريد أن يكون ...

تربية النفس تسبق تربية الطفل .

الكثير من الناس مجمدون عند طريقة ما في حياتهم أو عند أفكار ما . و يعتبر ذلك نتيجة الملايين من أنواع التربية الفاشلة و الناقصة . بالنسبة للكثير من الناس لا يعتبر اليوم الجديد إلا إعادة آلية لليوم الذي سبقه . لأنهم تربوا بهذه الطريقة أولا ، ثم لأن الآلاف من التبلورات تصلبت على

انحرافاتهم ، و على كبتهم و عقدهم . فهم يعيشون إذن على " عراة " عقلية، و على شعارات أصابها الصدأ (و التي تعطي لهم ما يشبه الأمن ، و لكن و للأسف يطبقونه على أبنائهم)

إنه من المرعب في بعض الأحيان ، حينما نسمع التوجيهات التي يقوم بها رب عائلة ... و كأنه يبحث في درج أثاثه القديم على أوراق صفراء قديمة أكل عليها الدهر و شرب...عن " تجاربه" و" حكمته "... و أمام بعض المواقف ؟ نفتح الدرج ؛ و نخرج بعض الأقوال المأثورة ، بعض الحكم ، و بعض الجمل الخاوية .

و في ظروف أخرى؟ نذهب إلى موقع آخر من الأثاث، و هكذا دواليك . رغم أنه يتعلق الأمر بإنسان يمكن أن يكون ذا تبصر و ذكاء ... و لكن ها هو بهذه الطريقة ... يصل إلى سن النضج و يغلق الباب وراءه ، معتبرا و دون شك أن حياته أكتمل نموها ،و أن طبعه اكتملت تشكيلاته... و زيادة على هذا أنه أخذ في دوامة الحياة ." لا يوجد لدي الوقت " أصبحت جملة شائعة. لا يستطيعون تسخير و لو عشرة دقائق في اليوم ليفحصوا أنفسهم ، و ليتطوروا . و إذا فعلوا ذلك فإنهم يقومون بالانحناء فوق فجوة ما فتنت تخيفهم، و سرعان ما يتراجعون ، و يعادون إقفال الباب وراءهم ...

حسنا كل شيء جميل ؛ لكن الطفل مازال هنا ؛ بفضوله الجديد ، و عقله المتفتح لكل شيء . يجب تربيته ، و هذا يعني الاحتفاظ له بفوهة عقلية كبيرة بقدر الإمكان . من جهة ، الطفل مستعد ليحب كل شيء ، ليفهم كل شيء و ليعتنق كل شيء . و من جهة أخرى المربي "المجمد " لا يستطيع الفهم ، و لا يستطيع اعتناق إلا بعض الأفاق التي تناسب تبلوراته...

هذا المربي أنهى تطوره ، أمام إنسان لا يطالب إلا بالتطور . كيف له أن يفهم الحياة مادام ذهنه ميتا ؟

لماذا لك طفل ؟

قبل القيام بتربية طفل يجب أولا خلقه . يتعلق الأمر إذن بخلق حياة جديدة يكون مصيرها التفكير ، الإحساس ، الألم ، الضحك ، الإدراك الشعوري . هذا شيء خطير . حتى أنه يعتبر أخطر فعل يقوم به الإنسان في هذا العالم . و هنا لا أقلوم نفسي لأعطي أجوبة طالما سمعتها يوميا عند طرحي لهذا السؤال :" لماذا تريدون إنجاب طفل "؟

- هي سُنة الحياة أليس كذلك ؟
- لأنني أحب الأطفال .
- زوجي لا يريد الأطفال لكن أنا أريدهم .
- أريد خمسة أطفال لا أكثر و لا أقل .
- عندي ثلاثة بنات و لكن أردت طفلا ذكرا.
- لا أدري ...
- لكي يواصل مهنتي ؛ إنها مهنة رائعة ؛ و لكن أهملت.
- أردت أن أنتظر قليلا ، و لكن بما أنه هنا ...
- لكي لا يفقد اسم عائلتي .
- لكي أقوي علاقتي الزوجية ، لأنني أراها هشة .
- لكي لا أحس بالوحدة .
- أوه ! إنها غلطة
- زوجتي أرادت بنتا ، و أنا أريد طفلا . و أنجبت بنتا حسنا سوف أحبها رغم هذا .
- زوجي يريد طفلا .
- زوجتي تريد طفلا .
- امرأة بدون أبناء لا معنى لها . المشكل لا يطرح إذا كان يوجد حب حقيقي .
- إنه يعتبر تجسيدا للحب ، الطفل الذي يولد في الحب يعيش حياة سعيدة.
- لأنني أعرف و بكل وعي ، أنني أتمتع بصحة جيدة ، و سليم التوازن النفسي، أتمنى أن أضع في هذا العالم إنسانا سعيدا و ينشر الخير من حوله.
بهذا نجد الأجوبة الثلاثة الأخيرة فقط صحيحة. بينما الأخرى...! ليست أجوبة إنسانية و لكن تتسم بعدم الوعي التام . و يصبح بصفة رسمية هؤلاء الأشخاص مربين . و لكن يربون ماذا ؟ بأي معارف ؟ بأية وسيلة ؟ و بأي تبصر ؟ و خاصة بأي حب ؟ ينتزز منه القلب إذا لم يكن قد فعله الصواب بعد...

التربية تعتبر في جل الأحيان تقليصا .

لأن الكثير من المربين(آباء، أساتذة ، مرشدين ، فلاسفة) لهم "تقلص" ذهني . و يعمدون إلى التقلص أكثر كلما استقروا على آراء

نهائية ، تخلصهم آليا من أية إمكانية لقبول راي مخالف . أبسط الأشياء مثل الانتماء الجنسي أو العرقي ، أو لطبقة اجتماعية معينة ، تفرض عليهم تضييقا عقليا ، و حكم مسبق على الأشياء، يصعب بعد ذلك نزعها . لكن من المفروض إلغاء هذه الأحكام إذا رغبنا في الوصول إلى كمال الإمكانيات ، كذلك الفهم المقبول للتربية . و زيادة على هذا ، هناك الملايين من البشر الذين يبقون يدورون حول عقدهم، كبتهم، خوفهم ، و آرائهم الخ . كل ذلك يعيد آليا الأفكار المحضرة سابقا ، و عادات لا شعورية . و هذا شيء بديهي . إنها عبارة عن ما يشبه الأغلال الحديدية الخانقة للقدرات العقلية . الإنسانية كلها مخدقة ، و كل خندق يحتوي على الآلاف من الأروقة . و انطلاقا من هذا التضييق الضخم تقاوم التربية !

نفرض هناك إنسان أرستقراطي و الذي لا يستطيع أن يكون إلا أرستقراطيا، بمعنى غير قادر لفتح عقله لتصورات مغايرة لتلك التصورات الأرسطوقراطية . فهو مشحون إذن بأحكام سابقة و أرستقراطية، آراء أرستقراطية، بضغينته ، بتسامحه أو عدم تسامحه الخ . فهو يعطي و بشكل آلي تربية أرستقراطية . و في نفس الوقت ، يرسل بابنه إلى مؤسسة تعليمية أرستقراطية و تعطى له توجيهات عقلية جديدة . و يصبح شبيها لآلاف المراهقين الذين تخرجوا من قبله ؛ يصبح يتوفر على نفس النطق ، نفس الأسلوب ،و نفس طريقة اللباس الخ . تعطي له"بذلة" عقلية موحدة، منقصة بذلك كثيرا لإمكانياته العامة و التلقائية . سوف تكون له و بدون شك " تربية جيدة " مثل الآلة المتقنة و لكن ليس إلا .

و لنفرض كذلك برجوازيا ، و الذي لا يستطيع إلا أن يكون برجوازيا . نفس اللعبة تعاد . و هكذا تنقسم الإنسانية إلى الملايين من الخنادق ، مملوءة بالترهات لا تربطها أية صلة بجارتها .

فالملايين من البشر هم في حالة استعبادية لتجاربهم الخاصة و المحدودة، يجهلون الحروف الأولى من تجارب جيرانهم ، و أصبحوا لا يقدرون حتى على البحث عن فهمهم .

التربية ليست كذلك إطلاقا .

فالتربية المفروض أن لا تكون بهذه الصفة ، يجب عليها تخليص العقل بدلا من الغلق عليه ، و تقليص إمكانياته أو توحيدها . يجب أن تصوب نحو الكمال و توسيع القدرات . يجب أن تمنع الأحكام المبلورة ، و الشعارات الداخلية ، و الخوف . و بدلا من أن تفرض على الطفل مجموعة هائلة من المعارف، يجب تسخير قليل من وقته لكي يعرف ذاته. و بدلا من دفعه أن يصبح " شخصية بارزة " وجب مساعدته أن يكون "شيئا مجسدا " . أن يكون عامل نظافة أو وزيرا لا يغير من الأمر في شيء .

في أغلب الأحيان تكون نتيجة التربية هي آلة تنظيم عن طريق الترويض . زيادة على هذا ، يكفي أن نشاهد العدد الكبير من العصابيين الذين يفرضون على الأطفال تربية غير سليمة نابعة من عصابهم نفسه . و قد تحدثنا كثيرا في هذا التأليف عن كل ذلك .

و بدلا من تضييق العقل ، وجب تمديد قدراته لكل شيء . الكثير من أنواع التربية تمنع الوصول إلى الكمال و تعطي بدله الخوف من الحياة، الحقد ، و البحث عن الأمن عن طريق العصاب ، و العدوانية الخ . لكن نفس هؤلاء المربين يحزنون كثيرا عندما تندلع حرب مدمرة لهذا الكون.

يجب على التربية أن تبني و لا تهدم . ماذا ينفع وجود جهاز أرغن ضخم إذا لم نكن نعرف إلا العزف عليه بنوطا واحدة و فقط ، حتى إذا سبق هذا أروع قبلة – يد ؟

عندما يعود الكبار إلى المدرسة .

العودة إلى المدرسة ، هو إدراك الإنسان بجهله . إنه التعرف عن الامتلاك للمفاهيم الخاطئة، أو المفاهيم الناقصة أو المنعدمة تماما. التربية، هي جزئيا ، مسألة معرفة خارجية ، طبعا . لكنها يجب قبل كل شيء أن تؤسس عن طريق معرفة و حكمة داخلية . حيث نفهم جيدا أنه إذا كانت الحالة الداخلية خاطئة ، فكل ما ينبثق منها يكون خاطئا كذلك . فهي حقيقة جوهرية ، لكن الكثير من البشر يخافون من مشاهدة الحقائق الجوهرية . يظهر الانحراف النفسي على كل أفعالنا من الصغيرة حتى الكبيرة ، مع تأثيرات مختلفة في حدتها . و هذا يطبق على العقد النفسية ، الشعور بالنقص ، و الكبت الخ . إعادة التربية يعني إذن الخروج من القوقعة التي

أخذت تتصلب حول الذات . و خاصة العودة إلى المدرسة هو عبارة عن قبول بالجهالة !

و كم من مرة أصبحنا نسمع :" أعرف جيدا كيف أربي ابني ، و لا أريد سماع أية نصيحة و من أي كان " و نلاحظ أن نفس هذا الشخص يتسول لينصح من طرف ميكانيكي إذا أراد أن يصلح سيارته ، يطلب نصيحة خاصة لشراء عجلات سيارته ، أو بناء منزله الخ . و لكن في ما يخص التربية فلا !

هذه المواقف هي طفلية و عدوانية . إذن تقوم بإظهار الخوف . إنه موقف استعلاء مزيف ، و ليد الشعور بالنقص .

الرجوع إلى المدرسة يعني " معرفة الذات " . و إلا تنعدم التربية المقبولة و الصحيحة بشكل كلي. نفرض إذن تربية مهيأة سابقا ، و صلبة ، تعتمد على "أنانا". و لكن إذا كان هذا الأنا ، ضعيفا و مجمدا ، كيف يكون للمربي تلك الليونة اللامتناهية ، و ذلك التفهم اللامحدود ؟

التخلص من الحاجة إلى أمن داخلي .

هاهو المشكل العويص...أغلب حياة الإنسان تقاد من طرف الخوف . الخوف الجنسي، الديني، الأخلاقي ، الخوف المتولد من الشعور بالنقص ، الخوف من كلام الناس ، من حكم الآخرين عليه ، من الحقيقة الخ . كل ذلك الخوف يحدث عندهم و بدوره الكبت ، العقد ، العدوانية ، مثل مسمار لولبي بدون نهاية. حيث الكثير من الناس يجهلون خوفهم ، و الذي يبقى لاشعوريا ، لكن حياتهم كلها مؤسسة عليه .

فالبحث عن العظمة ، و التسلط ، القوة و الهيمنة تأخذ منشأها أساسا من الخوف و قد رأينا هذا طيلة هذا الكتاب . حيث يبقى الإنسان مجمدا عند آلاف من العراة ، العادات ، و التسويات الظرفية الخ، و التي تعطيه الوهم بالقوة و العنفوان . إنه مشحون بشتى أنواع التعويضات ، و مدرع بخوذة حديدية يعتقد أنها تزيل عنه خوفه . و لكن يستمر في عذابه الناتج عن صراعاته الداخلية ، و التي تكون أكثر خطرا عندما تصبح غير مرئية . ينطوي إذن الشخص حول نفسه ، يتبلور و يجمد . عقليا هو موقف ، كرسوب السفينة فوق رمال الشاطئ . يدور حول نفسه ، شاء ذلك أم أبا . أليا يصبح غير قادر على الفهم الشامل .

إذا كان عندنا صداع ،هل نحن قادرون على الفهم الشامل لمشاكل الغير؟ نفس الشيء بالنسبة للآلام النفسية. طالما أن هناك صراع داخلي، التفهم الشامل مستحيل. الشخص "يفهم" حسب حالته النفسية الرئيسية، والتي تتمثل في آلامه.إذا كان الألم النفسي يولد القلق،فأي فهم يملكه الشخص؟بالعكس:كل ما يراه عند الآخرين ينسبه لقلقه ويقويه.ماذا يستطيع أن يفهمه شخص يخاف من الجنس أو يكبته؟لا شيء إطلاقا؛ وإلا رؤية الأشياء من خلال كبته. وهذا الميكانيزم هو نفسه في كامل الآلام النفسية، مهما كان نوعها. فالتخلص من الخوف الذاتي شيء جوهري . لكي لا نوصل للآخرين خوفنا ، و كذلك للمقدرة على الفهم .

كل المسالة إذن تتعلق بالتخلص من الذاتية . مع افتراض معرفة ما يجب التخلص منه ، وذلك دور المختص في علم النفس . و إلا نعطي للآخر توجيهات لا تليق به تماما . فظلا عن هذا ، فعدم التفهم يمنع وضع النفس في مكان الآخرين . و الدليل يوجد عند معظم المصابين بالعصاب ، و خاصة التربية المعطاة من طرف المتسلطين .

التربية و الحرب

التربية كما نفهمها نحن هي مؤسسة أساسا على سياسة التفريق . فهي تفرق الأفراد حسب مذاهبهم ، نظام الطبقات الاجتماعية ، السياسية ، و الدينية الخ .

هذه التربية بالطبع تمنع رفاهية الفرد و طلاقته ، و تقلص من حقل أفعاله ... و كذلك حبه. و كلما كررنا على مسامع الفرد أنه ينتسب إلى ذلك البلد ، أو إلى تلك الديانة أو لهذه اللغة .فإننا نقوم بتكسير فيه روح النمو و التطور. وزيادة على هذا ننمي فيه الحقد و الضغينة نحو كل مالا ينتسب إليه. و هذا شيء بديهي . و التربية الحديثة تدفع الفرد إلى العنف ، الحقد ، و الاحتقار و المنافسة غير الشريفة . يكفي أن نشاهد احساسات الأطفال "الفقراء " نحو " الأغنياء "... و العكس صحيح . فلا داعي إذن للبحث عن الحب ، لأننا لا نعثر عليه. لكن هل هي تلقائية الطفل ؟ لا ليس كذلك ؛ فهو هكذا لأننا قمنا بتلقين ذلك إياه . و هذه الأمثلة تتكرر ملايين المرات و في مختلف البلدان . بمواصفاته الإنسانية يعتبر ذلك شنيعا . تندلع الحروب بشكل آلي نتيجة لهذا النوع من التربية . و تستمر الحروب مادام

الإنسان لم يفهم نفسه و لم يجد جوهره العميق . طالما لم يلاحظ التشابه في طبيعة البشر في جميع أنحاء العالم . و أن كل ما برز منها ما هو إلا بريق سطحي . و بدلا من هذا ، فهم يحشون الدماغ على أننا فرنسيين أو بلجيكيين ، أو إنجليز ، أو بابو ، أو بروتستنتيين ، كاثوليك ، مسلمين ، أو أغنياء أو فقراء الخ . حتى يأتي اليوم الذي يتقاتلون فيه و يمزقون بعضهم البعض من أجل وطنهم ، دينهم ، أراءهم السياسية الخ . و يدوم هذا ما دامت التربية على حالها تقوم بتجزئة الإنسانية إلى " مجموعات " متناحرة . فالمشكل هنا لا يكمن في الطفل و لكن في المربي ! كل ذلك يبين مدى تجرد الإنسان و خوفه الطفولي . لا نصل إطلاقا إلى السلم (الفردي أو الجماعي) عن طريق تشتت الإنسان إلى فرق متنافرة . و ما يتكرر كل يوم بين أفراد متفرقة ، يتكرر بدوي المدافع ، و انفجار القنابل ، على كامل هذه الأرض .

التربية و الحب

لا توجد أية تربية ممكنة النجاح دون حب . هذا بديهي . دون حب لا نستطيع إلا القيام بالترويض ، الضغط ، إعطاء شكل نهائي ، تلقين المعارف ، و التصرفات الجميلة . الحب هو الكمال الداخلي . كل ما يضعف الكمال الداخلي ، يضعف الحب . الحب الحقيقي يتطلب شروطا جبارة ؛ فالوصول إلى السمو لا يكون إلا بعد القيام بعدد هائل من التطهير النفسي . فالاعتقاد أننا نحب و الحب الحقيقي شيئان متباينان تباين الشرق و الغرب . الحب يتطلب حالة استقرار دائمة الوقار ؛ يتطلب إذن التوازن القوة و التبصر . كل ما يفسد و يهدم هو دليل عن انعدام الحب .

كل مختص في علم النفس يعلم جيدا قلة الذين يحبون حقيقة القائمين على تربيتهم . و أغلب الأحيان يعتقدون عكس ذلك ... فالمربي له نظرة خاطئة عن الحب . الحب هلال التربية هو عبارة عن عطاء لا غير .

و سوف نرى كم أن مفهوم " العطاء " هو خاطئ في أغلب الأحيان .

فمرة أخرى الحب المزيف موجود عند المتسلطين ، كل المهيمنين و المستبدين، و ذلك بكل شكل من أشكال الهيمنة. مهما تكن عنيفة أم مقنعة ، تحت غطاء التضحية أو الطيبة المفرطة فهذا لا يغير في المسالة شيئا ، لماذا ؟ لأن المهيمن يبحث عن أمنه الداخلي ، و الذي يجده في تسلطه . و

قد رأينا ذلك مرارا. الكثير من المتسلطين " يعطون آخر قميص لهم من أجل طفلهم " . يعطون حتى حياتهم إذا وصل الابن إلى ارتكاب الجنح و الأفعال الإجرامية كما رأيت من قبل ، لكن ليس هذا هو الحب . فهدفهم اللاشعوري هو الهيمنة أكثر على الطفل بإظهار له كم أنهم "طيبون" معه؛ و يمنعون بذلك أي تمرد مفتوح . متى يفكرون في التمرد الداخلي ؟ الهدف اللاشعوري الغالب عند أي متسلط هو الاحتفاظ على أمنهم الداخلي بتوهمهم القوة، الإعجاب و الاحترام لهم ، و كل فعل تلقائي يصدر من الطفل يعتبر تمردا ، و يشعرون أنهم ضُربوا في الصميم.
الأم التي تحتضن طفلها ، " و تتعلق " به لا تحبه حقيقة ، لأنها تمنعه من النمو الذاتي ، الكثير من الأباء ، ينقلون إلى الطفل طموحاتهم الخاصة بهم .
و كم سمعت من أقوال في هذا الشأن :
- أريد أن يكون الأجمل .
- أريد أن يكون الأذكى .
- أريد أن تكون له مرتبة اجتماعية كبيرة ، لم أصلها أنا ...
- أريد أن يكمل مسيرتي .
- أريد أن يكون زواجه ناجحا .
- هو الذي يقوم بتحقيق كل ما لم أستطيع أنا تحقيقه.
- أنا نجحت بفضل هذه التربية لا بد أن ينجح هو كذلك .
- مازالت والدتي تضربني و أنا في سن الأربعين ، و أنا أفعل نفس الشيء مع ابني ،إنه ثمن النجاح !!الخ
أين الحب في كل هذا ؟ من ذاك المربي الذي يضع نفسه مكان الطفل ؟ و رغم هذا فهم يعتقدون أنهم يحبون ، و يفعلون ذلك " لمصلحة " الطفل . ما هذه الأخطاء ذات العواقب الثقيلة !
يفعلون ذلك من أجل أنفسهم و بكل بساطة ؛ و يرغبون أن يكبر الطفل حسب إرادتهم و طموحاتهم ، مع عدم الاهتمام بما هو عليه . مثل هذه التربية تجلب دائما صراعات داخلية عند الطفل. صراعات داخلية، إذن آلام ، و عصاب ضغينة ، تمرد ، و شعور بالنقص.

آب يقول في أحد الأيام :" الشعور بالنقص ؟؟؟ لا أعرفه ! أنظر إلى جيدا هل يبدو علي أنني مصاب به ، أنا ؟ أبني سوف يتعلم بنفس المدرسة التي تعلمت فيها أنا . هكذا أنا قررت . إذا أراد فهو يقدر . لمصلحته . فأنا لا أعرف غير ذلك ..."

و نتخيل دون عناء وصول ذلك الطفل إلى سن المراهقة بإرادة مكسورة، و مشحون بالشعور بالنقص ...

و هكذا ، نفس الأغنية تعاد عبر الصدى . كل تربية تكون مصدرا للصراعات الداخلية أو لإضعاف الشخصية تظهر افتقار للحب والفهم. وما هي إلا أنانية مقنعة .

حالة أخرى شائعة : بعض المربين يتذرعون بالصرامة . يتفاخرون بآرائهم غير القابلة للزعزعة . إنه نوع آخر من الصلابة و العناد و الذي يأخذ على أنه قوة و إرادة ! و ينحرفون تسع مرات على عشرة عن هدفهم المسطر : تشنجهم ينسيهم النتائج المنشودة . هي الكارثة الحقيقية إذا كان هؤلاء الأشخاص أرباب عائلات . إن هؤلاء ذوي " المبادئ" الصلبة ، المتشنجة ، المتطوعين ، هم في استعداد تام لتعذيب محيطهم.(دائم من" أجل مصلحتهم" طبعا !) ما هي ميكانيزماتهم العميقة ؟ الخوف . يريدون و بكل ثمن الإبقاء على آرائهم سليمة و معافاة . يعتبر بالنسبة لهم إعادة النظر في آرائهم كضعف ، و انعدام للشخصية !...

قال لي أحد الآباء : - "... أنا و المبادئ جزء لا يتجزأ ". لا أغير مبادئي أبدا . و ألقنها لأبنائي . سوف يرون في المستقبل أن الصلابة لها ميزاتها و يشكروني على ذلك ". و النتيجة لن تكون هكذا أبدا و لا يعتبرون أن أباهم قام بتربيتهم و لكن بترويضهم . و هو ليس نفس الشيء . أما عن الشكر ربما يفعلونه باسم الخوف ، و الفشل ، و خجلهم المستقبلي ...

و هكذا تندلع دراما عائلية و حياتية شاقة . كافكا (Kafka) في رسالة له لأبيه ، وضع جيدا آلامه العاطفية ، التي تبعدنا كثيرا عن الحب ...

فالبحث عن الأمن الداخلي ، و التكريس للمبادئ لا يعتبر إطلاقا حبا . كيف يجرأ الكثير من المربين الإدعاء أنهم " يحبون " إذا كانوا يدفعون إلى التفكك بين الأفراد ؟ و على هذا الأساس تبنى الكثير من التربية . يدفع على التفرقة باسم الغنى و الفقر ، باسم الأحكام المسبقة الاجتماعية و

العرقية ، تقام التفرقة باسم العشائرية ، التناحر السياسي و الطبقات الاجتماعية .

كل ذلك يؤدي إلى الضغينة، المنافسة ،الصراعات ، الفشل و إلى الآلام . فهذه التربية تؤدي إلى هدم المجتمع . حيث أن الحب لا يهدم أبدا و لا يعزل إطلاقا .

كيف نصل إلى تربية سليمة إذا وجدت مع الضغينة تجاه تلك الطبقة من المجتمع أو ذلك الدين ، أو ذلك الحزب ... أو حتى نحو الجيران ؟ و بدلا من فتح ذكاء و فهم الطفل نقوم بغلقه. تدفع هذه التربية للتشتت ، الكبرياء ، الغرور و الاستعلاء ، و المنافسة غير الشريفة . إنها تدفع كذلك إلى : الفشل ، الخوف ، العجز . و بصفة عامة تعمل على هدم القدرات العامة للطفل .

إذا كان فكر المربي محدود (عصابي ، سوء الفهم للأشياء ، نظرة مشوهة ، التبلور المتصلب) فإن ذكاءه يصبح محدودا كذلك و بشكل آلي . يصبح لا يقدر على النظر للحياة بشكل شامل . حيث أن التربية هي تنمية للذكاء مندمجة في التصور الشامل للعالم . ليس هدفها بنيل نتائج جيدة في الامتحانات بقدر ما هي تنمية للتبصر .

إذا كان فكر المربي محدودا فهو يقوم بتوصيل معارف موجودة في الكتب ، لكن ليس للذكاء . و خاصة ليس للحب . و هكذا تبقى السلسلة دون نهاية ...

يجب أن تكون التربية تعاونا في التواضع

لا يجب أن يكون عند التربية الحقيقية من هو أسمى و من هو أدنى ، لكن تعاون تام. إذا قمنا بتربية شخص فإننا نتعلم منه أكثر مما يتعلم منا. التربية هو تبادل لوجهات النظر بشكل متواصل ، الكثير من المربين يشعرون بالاستعلاء أمام مربيهم . و هذا خطأ . و حتى أنه العكس في أغلب الأحيان . يرغب الطفل و المراهق في المعرفة و تطوير تبصرهم . و لكن الكثير من المربين انهوا تعلمهم و تجمدوا . زيادة على هذا كلما كان إحساس بالاستعلاء ، فهناك خطر توصيل وبتسلط للمعلومات التي نظن أنها حقيقة . حيث أن الحقيقة لا تلقن و لكن وجب اكتشافها . يجب أن يكون المربي كالكريستال المضيء ...

إذا نصّب نفسه في الأعلى ؛ فهو يثبت نفسه في دور ما ؛ و يحاول إنقاذ هذا الدور . تسلطه يصبح رغبة لا شعورية في أن يكون دائما على صواب .

زيادة على هذا الكثير من المربين (آباء أو أساتذة) هم بحاجة لشعور استعلائي(وهي حالة المصابين بالشعور بالنقص و كل المستبدين).

هو إذن احتياج مرضي (عادة لا شعوري) للاحترام ، الاهتمام ، و الإعجاب ...الخ

هؤلاء المربون يريدون من تلاميذهم أن يقبلوا دون نقاش التوجيهات ، الحقائق و القواعد العامة،و يشعرون بالضغينة إذا لم يقوموا بذلك! بإكراه الطفل على تقبل التسلط ، نسيء لذكائه و لشخصيته . نفرض عليه تضييق تبصره الذاتي ، و سعة عقله . تمنعه من إدراك القيم الإنسانية التي تناسب ما هو عليه . الشعور بالاستعلاء يعني " الهيمنة " و فرض توجهات وليدة "لأنا" المشوه . يمتلك المربي إذن شعور العظمة الذي ينقذه من العجز ... (هو مرة أخرى حالة الأب العصابي ، و الأستاذ العصابي، و بعض رؤساء الفرق ، و بعض رؤساء الدول) .

بالعكس ، يجب على المربي أن يكون متواضعا . ألا يجب أن يتعلم هو كذلك و كل يوم؟ هذا التواضع هو الوحيد الذي يحفظ له ذلك التفتح العقلي، و التفرغ . تربية الطفل يعني " أخذ مكانه". كيف له ذلك إذا كان عقله مشحون بنفايات ذهنية كابحة و مجمدة؟

يعتبر المربي الحقيقي ثريا نفسيا ، يعطي و لا يفكر في الأخذ . و لا يجب أن تكون له احساسات تجاه الشرف ، العرفان للجميل ، التسلط . لا يوجد له أدنى إحساس بالاستعلاء والغرور ، ولا يرغب أبدا في فرض الأشياء. يعتبر فقط أنه كتب عليه أن يدرس ؛ و أن تلقي العلم مكتوبا على الأخرين . و الوصول لهذا الهدف ، يجب أن يكون هناك عمل ذاتي ، و تسخير لكل الوسائل النفسية التي هي في حوزته . و طالما لم يقم بالتخلص مما يعيقه للوصول إلى غنى النفس فإنه لا يستطيع أن يكون مربيا . مادام الخوف ، و الشعور الاستعلائي أو الهيمنة مسيطرة عليه فإنه لا يستطيع أن يكون مربيا . إنه قانون صارم و قاسي لكنه أجمل من الشمس .